عمود من نار

تأليف: راي براد بوري
ترجمة: رؤوف وصفي
مراجعة: د. طه محمود طه

العنوان الأصلي للمسرحية :

Pillar of Fire

and Other Plays

for today, tomorrow,
and beyond tomorrow

by Ray Bradbury

شخصيات المسرحية

لانتـــرى	Lantry
سميث (حفار قبور)	Smith
هارى (حفار قبور)	Harry
بيرك (قائد الصاروخ)	Burke
ماكلور (ضابط فرقة السلام)	Mcclure

* * *

عمود من نــار

عند رفع الستار يكون الظلام منتشراً وأشكال ظلال المقابر هنا وهناك (تعرض بجهاز العرض) ولكن الظلام منتشر بصفة رئيسيه ، ونحن نرى نعشاً وضع وحده بــين القبور ، ويفتح الغطاء ببطء ، ولا نرى إلا يدا ، وبعد برهة طويلة نرى رجلاً ممتقع اللون جدا يرتدى حلة قاتمة اللون يجلس ببطء متألماً وقد أغلق عينيه الموت أو ما هو أعمق من الموت ، يتحسس نفسه ثم يتسلق من النعش وينظر حولــه مذهولاً

لانــترى : انى ميت . . ولكننى لست ميتا .

(يفحص نفسه غير مصدق)

لانــترى : لقد ولدت من جديد ، في أى مكان وفى أى زمن ولأى سبب ؟

(تسقط يده على شاهد قبر يراه)

لانــترى : انتظر . . لانــترى ؟ أجل . . . ويليم لانترى ، اسمى . لماذا ؟ يا الهى فليتكلم أحد وليخبرني (يكاد يبكى . . تقترب بعض الأصــوات ، فيرتــد إلى الظلال) .

(ويدخل رجلان فى حلتى قفز قاتمتين وعلى صدر حليتهما رمز نار وحيـــــد ، وهما يحملان بعض

المعاول ونوعا غريبا من أجهـزة الليزر وهمـا نظيفان بالرغم من أنهما من العمال)

سـميث : هلم يا هاری . هذا هو .

هـاری : لقد انتظروا مئات السنين . فلن يضيرهم عشر ثوان أخـرى

سـميث : ولكن هذا قبر خاص ، فهو يمثل التاريخ . أعنى أنه يجب أن يكون هنا بعض ممثلي الصحف والتليفزيون والراديو ، يجب أن يأخذ المصورون بعض الصور انصت إلى ، هذا هو آخر واحد ، ففى كل أنحاء العالم لن يكون موتى بعد الآن ، فى هذا البلد كله وفى كل بـلاد العالم لن يكون هناك أخـيرا موتى لا أجساد ولا جثث ولا قبور ، فكر فى هذا .

هـاری : (يجلس على النعش) إننى أفكـر .

سـميث : هذه مشكلتك . فلا يصل إليك شيء ، لقد أنجزنا أخيراً ما نريد ، نظفنا الأرض ونسقنا التربه ، وخلصنا البشرية من اللحم والعظام ومن الضلوع والجماجم ، كلها اختفت فيما عدا . . . لعازر هذا (ويومىء صوب الصندوق) .

لانـترى : (على جانب) لعازر . . نعم لعازر ، هذا هو اسمى . لقد استدعيت من القبر لأفعل مـاذا ؟

سـميث : مناسبه تاريخيه يا هاری . فلنحتفل .

هـاری : (بجفـاء وهو يلوح بيده فى ضعف) هو رآه

سـميث : (وهو يحملق إلى غطاء النعش) ما اسم هذا ثانيه ؟

هـــارى : (ينهض دون أن ينظر) بليترى .

لانـــترى : (همسا وهو غاضب من هذا) لانترى . . لانترى .

ســـميث : حسناً ، سواء أكان رجلاً طيباً أو مسيحيا وحيدا أو أيا كان فهو آخر ميت فى التاريخ الجثه الاخيرة الحقيقيه من لحم ودم ترقد فى الارض . انه اكثر من خاص ، وبطريقة ما يجب أن يوضع فى متحف كالمومياء (ينحنى ويفتح غطاء النعش) ، انتظر . . لم نتم عملنا الليلة الماضية . أليس كذلك ؟

هـــارى : كلا

ســـميث : كان هناك نعش آخر . أليس كذلك ؟

هـــارى : أجـــــل

ســـميث : (وهو يحملق) انه خال

هـــارى : لقد وقعت على الحفره الخطأ . . هاك (يقرأ شاهد القبر) ل أ ن ت . . لانترى

ســـميث : أرأيت ؟ انـــه هو . قد اختفى . وكانت جثته هنا الليله الماضيـــــه .

هـــارى : لا نستطيع أن نتحقق . فلِمَ نبحث .

ســـميث : الناس لا يدفنون النعوش خاليـــة ، لقـــد كان فى صندوقه . هو الآن ليس موجودا أتشم هـــــذه الرائحه ؟ لقد كان هنا فعلا .

هـــارى : لم يأخذ أحد الجثة . أليس كذلك ؟

ســـميث : لمـــاذا ؟

هـاري : ربما من قبيل الفضول ؟ أقد كان من طبقة خاصة أم تراك نسيت ؟

سميث : (كأنه يلقى شيئاً حفظه صماً وبطريقة آلية) لا تكن مضحكاً ، الناس لا يسرقون . لا أحد يسرق . لا أحد يسرق .

هـاري : اذن لا يوجد الا حل و حد

سميث : وما هـو ؟

هـاري : لقد نهض وسار مبتعدا . أجل . هذا هو . لقد نهض وسار مبتعدا (يبتهج لنكتته)

سميث : اننا في ورطة كبيرة يا هاري . ماذا يقول الموظفون إذا ظهرنا وأيدينا خاويه ؟

(تدوى صفارة انذار فتقاطعهما ، ويومض ضوء في السماء . فيتحولان وينظران وتطرف عيونهما) .

سميث : ها هو لعازر الا واحداً قد ذهب . إلى النار القديمة وداعاً . وداعاً .

لانتري : (همسا . على جانب ، وهو يبتعد خائفاً) المحرقة ! تلك النار !

سميث : مكان النار القديم الطيب . المسكن الجميـل والصواريخ العظيمـة . ليتني فكرت في هـذا ، يا هـاري .

هـاري : ماذا ، المحرقة ؟

سميث : الموت يدفع نقداً كثيراً يا بني . الرجل الذى بنى أول

محرقة أصبح مليونيراً وكذلك كل الباقين منذ ذلك الحين . ففى كل مدينة وبلدة وقرية تطرأ على بالك يوجد موظف ومن ثم محرقة مقدسة خاصة . حيث ينتهى بنا المطاف جميعاً .

هـــارى : أنت قبلى يا سيدى .

لانـــترى : (على جانب) المحرقة . ذلك الضوء الذى على التل . أجل ، أجل . يموت رجل فى البلدة . وما أن يبرد جسمه حتى يضعه أقاربه في سيارة وينقلونه بسرعة إلى . . . . .

هـــارى : المحرقة . أصبت . لقد كبرنا كحافرى قبور . وكان يجب أن نكون من الموظفين ماذا عسانا أن نفعل بعد الليلة ؟ لماذا . . . فقد أصبحنا . . .

ســميث : عاطلين . صحيح . عاطلان عن العمل .

لانـــترى : (وقد ألهم ببطء ، ولكن لا يزال غير واثق ، على جانب) هذا إذا لم يكن لدىّ ما أقوله .

هـــارى : (يهز كتفيه ، نبضة) هل دخلت المحرقة ذات مرة

ســميث : (وهو يصدر صوتاً يعبر عن الازدراء) بكل تأكيد . ألم تدخلها أنت ؟

هـــارى : لم أعرف أحداً قد مات ، حتى الآن .

ســميث : أوه ، انه مكان جميل . رائع ، يجب أن تراه .

هـــارى : سأفعل ، فى القريب العاجل .

(ينحنيان لترفعا النعش)

لانـــترى : (مردداً الحديث ، على جانب) فى القريب العاجل .
(يتقدم لانترى إلى الضوء)

لانـــرى : أيها السيدان ! مرحباً بكما .
يدركهما الفزع ، فيتركا النعش فيسقط منهمـــا)

هـــارى : هيه ، ماذا تفعل هنا ؟

ســميث : آه ، صه يا هارى

هـــارى : كيف جئت إلى هنا ؟

ســميث : هارى (نبضة) هذه منطقة ممنوعة يا سيدى . غير مسموح لاحـــد من الموظفين بدخولها . أنت تعرف القانون .

لانـــترى : انى اعــــرف القانون .

ســميث : حسناً . . إذن . .

لانـــترى : هل تبحثان عن جثـــة ؟

ســميث : ليس هذا من شأنك .

هـــاري : كلا ليس من شأنك .

لانـــترى : اعتقد انى اعرف أين هى . فقد اخذتها .

ســميث : (مذهولا) أنت . . أخذتها .

هـــارى :ليس هذا من حقك . كيف تجرؤ .

لانـــترى : حق الحيازة الأولى . فهى ملكى .

هـــارى : (يخرج دفتراً وقلماً من الرصاص) حسناً . قل لنا على اسمك لنبلغه للسلطات .

لانـــترى : لا نـــترى

هـــارى : (يكتب ، ويحدق بالدفتر وهو يتهجى) لـ . . أ . . ن
(يجمد . ويكمل لانترى الاسم بدلا منه)

لانـــترى : ت . . . ر . . . ى

هـــارى : (مذهولا) أهذه نكتة ؟

(يهز لانـــترى راسه)

هـــارى : أليست هذه نكتة يا جو ؟

ســـميث : انها نكتة . نكتة على وجه التأكيد (يضحك)

لانـــترى : حسناً . ستحصلان على الجثه ، على كل حال .

ســـميث : أصحيح هـــذا ؟

هـــارى : أين هى ؟

لانـــترى : هنـــا

(يمد يديه ويخنق هارى . يراقبهما سميث وقـــد بهره ما يرى)

ســـميث : ماذا تفعل الآن ؟

لانـــترى : أحصل لك على جثه .

ســـميث : (وهو لا يزال مبهوراً ، يدفعه الفضول ، وهو يراقب) لكن ليست هذه هى الطريقة لفعل هذا ، فالناس لا يقتلون الناس . لم يعودوا يفعلون هذا .

لانـــترى : (يمسك بعنق هارى فى قوة) انهم يفعلون هذا ثانية . هكذا (يترك الجسم ليسقط)

ســـميث : (ينحنى ويحدق) ما الذى حدث له ؟ انه ليس ميتاً

بالفعل ؟ لا يمكن ان يكون ! الناس لا يفعلون هذا !
(يتحرك لانترى فى هدوء ليضع يديه حول عنق سميث الآن ، بينما سميث يستمر في التعليق وكأنه درس حفظه عن ظهر قلب عن قوانين مجتمع المستقبل هذا . وهو يختنق ببطء ، وصوته ينخفض ، وأخيراً تسكن حركته) .

سميث : (ترتخى عضلاته في بطء ، وتتسع عيناه) الناس لا يفعلون هذا . . لماذا . . الناس لا يفعلون هذا . . انهم لا يفعلون هذا . . لا يفعلون هذا . . لا يفعلون..
(سكون . ثم تمساك لانترى بسميث الميت من عنقه لبرهة أخرى)

لانترى : ماذا : حتى ولا أنة واحدة ، ولا صرخة طلباً للرحمة ؟ يا الهى . ما عسى أن يظن الموظفون ؟ جثتان بدلا من واحدة . حسناً !
(يضع جثة سميث في النعش . وبسرعة يضع هارى فوقها . ويغلق الغطاء بعنف) .

لانترى : هدوء (يدور ويخطو ويرمق السماء والأرض) حسن . حسن أن أسير ثانية . حسن أن أشعر بالرياح وأن اسمع الأوراق وهى تجرى تحت قدمى كأنها الفئران . حسن أن أرى النجوم الباردة تكاد تعصف بها الرياح . . . بل أنه حتى حسن أن أعرف الخوف ثانية . ثم (يتحسس نفسه) . . انى خائف . أوه . أجل . ان حقيقة كوني اتحرك تجعلنى العدو . عدو جميع البشر . ذلك أنه لا يوجد صديق آخر ميت آخر

من طراز خاص مثلى أستطيع أن أستنجد به للمعاونه أو للعـــزاء . ومن ثم . . لقد أعلنت الحرب ! لقد عرفت الآن لماذا ولدت من الأرض !

أنا ويليم لانترى ضد العالم كله ، العالم المصاص للدماء الكافر ، العالم الحارق للجثث ، المبيد للمقابر . إذن ، فأنتم يا من هناك ، ايتها المدينة ، أيها الناس ، أيتها العادات ، أيتها العقول المتحررة فى الاجسام الطاهرة أنتم يا من لا يمكنكم أن تؤمنوا بى ، يجب ألاّ تؤمنوا . لقد عاد الموت إلى عالمكم سأزيد عـــــدد الموتى وعدد الرفاق ، حتى لا أكون وحيداً دون رفيق . . . الآن !

(يمر شاب به فى عجلة وهو يصفر)

لانـــترى : أوه . . سيدى

(يقف الشاب ويلتفت . يتقدم لانترى)

لانـــترى : هل لديك عود ثقـــــاب ؟

(يشعل الشاب عود ثقاب ويصنع منه ناراً . ينظر إليها لانترى . نبضة . ينحنى إلى الأمام . ويطفىء النار . اظلام فورى)

(وفى الظلام ، ينبعث صوت عظيم من سيمفونية باخ . الكنتاته رقم ٢٩ وتتغير الألوان . يسود لون الشمس الآن . وتتخلل الألوان البرتقالية والصفراء السماء ، وستائر المسرح الخلفية ، والناس تتدفق الموسيقى فى أصوات صيفية)

صوت (فى همس رقيق) مرحباً إلى الموقد . مرحباً إلى نار الله . مرحبـــاً إلى مكان الشمس . ومكان النار مفتوح دائماً . صيفاً وشتاء . وليل ونهار . والموقد مستعد للترحيب . والنار هنا للتنظيف . والشمس هنا لتحرق وتشيع السلام . مرحبا ، مرحبا . .

(يدخل رجل عجوز فى ألوان الشمس والصيف)

العجــوز : أجـــــل ، مرحبا ، مرحبا ، ادخلوا ، ادخلوا . . وارتدوا ألوان الصيف الدافئة واضفوا البهجة على نفوسكم . . هكذا ، أجل . أجل .

(ويتبع العجوز شاب وشابة يمسكان قبعتين زاهيتى اللون على ملابسهما القاتمة ، ويساعدهما العجوز على اتمام لبس قبعتهمـــا) .

الشابـــه : لقد انتظرنا طويلاً جداً .

الشـــاب : طويلاً جداً

العجــوز : حسنا . مرحبا بكما مرتين . ارتد الصيف يا سيدى ، ارتد الصيف .

(ويعطيه وشاحا برتقالياً زاهياً ليلفه حول كتفيه . والآن أصوات هامسة كثيرة)

الشـــاب : (ينصت وقد غلبه الفضول) ما هذه ؟

العجــوز : (ينصت ثم يضحك) هذه ؟ هذه هى النار طبعاً . النار التى تندفع إلى الثقب المستدير العالى . . تلك النار التى تشتعل طول الليل وطول النهار إلى الأبد ، فيما وراء هذا الجدار ، وداخل هذه الاحجار والنار

والشمس أواخى الشمس ، كما تقول ، صديقنا جميعاً (يتحرك ثم يشير) تعاليا إلى المخبز أنظرا كم هو دافىء . يدوم هنـــا الصيف طول العـــام . والموسيقى ؟ هل أنصتنا حقاً ؟

(وينصتون جميعاً إلى الأجواء السماوية المنقولة إليهم في الجـــو)

العجـــوز : باخ وقـــــد تجدد شبابه ! باخ نفخت فيه الحياة أكثر مما كان يأمل أو يرجـــو ! ليست موسيقى الموت ، بل موسيقى الحياة والنار ، موسيقى كل يونيو ويوليو وأغسطس أدخرت فى أعذب الطاقات واللهب . أنا . .

(يقرع جرس . فيلزم العجوز الصمت ، ويستدير)

العجـــوز : صه ! أنظر . واعرفا الفـــــــرح

(ترتفع الموسيقى . يظهر لانترى وقد بدت عليـــه الدهشـــة)

العجـــوز : يا إلهى . سيدى . . سيدى ، ابتعد . أعنى . . مرحبا . . ولكن . . . . تراجع ! موكب الفـــرح سيبدأ .

لانـــترى : الموكب . . . . . ؟

العجـــوز : موكب الفرح . . موكب الفرح ! ارتد الصيف يا سيدى . ارتد الصيف ، هاك

(ويعطى لانترى الوشاح الملون بلون الشمس وينظمه على كتفيه ، ثم يجذبه جانباً ويؤمى) .

العجـــوز : ابدئي ثانيه أيتها الموسيقى . ارتفعى يا أصوات الأطفال . والآن . الموكب !

(وخلال ما تقـــــدم ، ترتفع الموسيقـــى ، ونسمع أصوات الأطفال يضحكون ويلعبون فى كل مكان ويقف لانترى والآخرون ينتظرون وقد تملكهـــم فضول شديد) .

(ويؤمى العجوز ، ذلك أن الموكب قد تأخر على ما هو واضـــح) .

العجـــوز : الموكب

(يدخل متدحرجاً صندوق ذهبي على عجلات ذهبية وحده ، ونرى الصندوق مغطى برموز الشمس . يتدحرج الصندوق ثم يقف فى بطء ، وبعدئذ يزحف فى خطى القوقعة)

لانـــترى : (مذهولا) أهذا موكب ؟

العجـــوز : أجل . موكب من خلال الصيف إلى الشمس .

لانـــترى : وما الذى داخل النعش ؟

عجـــوز : (وقد انتابته صدمة) نعش ؟ كلا ، كلا ، يا سيدى لا بد أنك تعرف أحسن من هذا .

لانـــترى : آســـف . .

(ذلك أن الشابين يتمتمان ، غير راضيين وقـــد كست وجهيهما الظلال)

العجـــوز : هذا هو مكان الموقـــــد

لانـــترى : (متمشيا مع هذا) طبعاً ، يا لغبائي !

العجـــوز : الذى ينقل الأرواح إلى الحياة الجديدة في العالم الآخر

لانـــترى : كيف يمكننى أن أنسى هذا

(عادت الابتسامة إلى وجهى الشابين وبدا العجوز راضياً)

العجـــوز : في الموكب الآن . سنصحب الروح الممتلئة بالحيوية لميني ديفيز هو بكنتز إلى الموقد

(يصطف الشابان خلف الصندوق الذهبي . ويتخذ لانترى مكاناً له . بارشاد العجـــوز)

لانـــترى : (للشابين وهو يؤمى إلى الصندوق) هل تعرفانها ؟

الشـــابة : (وقد بدا عليها الاستياء) أمـــــه !

الشـــاب : أمـــــى !

لانـــترى : آســـف . .

الشـــاب : لا شيء يدعو للأسف . ليتنى بدلا منها ، وعرفت الفــــرح

لانـــترى : (بجفاء) لعلى أستطيع ترتيب هذا . . ؟

الشـــاب : مـــــاذا ؟

لانـــترى : (يهز كتفيه ويقف بعيدا) هلموا إلى الفـــــرح

العجـــوز : أجل ، إلى السعادة ! هكذا ! . هكذا ! الموسيقى . الضحك . أوه ، أنصتوا إلى أطفال الزمن !

(صوت موسيقى ، ومزيد من ضحك الأطفال . وتتصاعد موسيقى الارغن وتزداد حدة اللون الأصفر

في الضوء . وتظهر الشموس في كل مكان على ستائر المسرح الخلفية ويقف الصندوق حيث صور النار رمز الشمس الكبرى وهي تشتعل قرب خلف المنطقـــــة . يمسك العجوز بطرف الصندوق)

العجــوز : ميني ديفيز هوبكنز ، التي لا تزال تعيش ، انها تعيش أكـــــثر .

(يمسك الشاب والشابة بطرفين آخرين من الصندوق وينتظران . يتجهمان في وجه لانترى . فيتقدم ليمسك بالطرف الرابــــع) .

العجــوز : من يولد من الشمس ، يعود إلى الشمس .

(تتأجج النار عالياً . بينما هم يقرعون على الصندوق المتألــق) .

العجــوز : أن تحيا يعني الاحتراق اللذيذ .
أن تموت ليس هو أن تموت
بل أحيا في لهب إلى الأبـــــد
وحيث توجد الآلهة فان
الزمن الذي بقـــــي للاحتراق ،
بليون سنه من الامتلاء
فافتح ضحكة الاله على مصراعيها
ودعه يأكلك ! ؟

ويميلون الحامل . فينزلق الصندوق إلى أسفل ، ثم يختفي عن الأبصار . ونسمع هديراً لتدفق ضخم من اللهب يكاد يشبه هدير صاروخ عند اطلاقه ! صوت

موسيقى . وخليط من ضحك الاطفال . وتخبو الأضـــواء .

وتشيع البهجة على وجه العجـــــوز ، يبتسم ، ويهز رأسه ، ويربت على ظهورهم جميعاً . ويبتسم الشاب والشابة ويصافحان العجوز ، ويتحولان لمصافحة لانترى ، ولكنه يكون قد أشاح بوجهه وقد تملكته حيرة واضطراب شديدتين ، وينصرفان تاركين العجوز ولانـــترى) .

العجـــوز : (مشيراً إلى النار) انها تحترق إلى ما لا نهاية ، نهر ذهبي صلد يتدفق من الأرض عالياً صوب السماء . وكل ما تلقيه فى النهر يحمله إلى أعلى ، ويختفى إلى الأبـــد .

لانـــترى : (ينصرف عنه ، قائلا بجفاء) استمر أنت .

يستدير لانترى ، ويذهب لينظـــر إلى النـــيران المتأججـــــة)

العجـــوز : هل حدث . . خطأ ما ؟

لانـــترى : خطأ ؟ كيف يحدث خطأ فى هذ العالم المثالى ؟

العجـــوز : هذا صحيح (يستغرق فى التفكير) متى كنت هنا آخـــــر مرة ؟

لانـــترى : لم أكـــــن هنا أبداً .

العجـــوز : أبـــداً

لانـــترى : لم آت إلى هنا أبداً فى حيـــــاتي

العجـــوز : ولكن هذا مستحيل (يفكر) . أليس كذلك ؟

لانـــترى : انني أبالغ . كنت هنا وأنا صبي . ولكن الإنسان ينسى .

العجـــوز : (ما يزال غير مقتنع ، بينما يزداد وجهه تجهما) يسرني أن أصحبك في جولة .

لانـــترى : كلا ، كلا ، شكراً . دعني أشرح الأمر لك . لا أحد في أسرتي قد مات منذ أن كنت طفلاً ، ولهـــذا . .

العجـــوز : لقد استخدمت كلمة (مات) يا سيدى . نحن لا نستعمل هذه الكلمة .

لانـــترى : (يضحك ، محاولاً أن يجعل من الأمر نكتة) يجب أن نموت جميعاً في وقت ما

العجـــوز : (يتراجع إلى الوراء أكثر) نحن لا نموت يا سيدى! لا شيء ينتهى كل شيء يستمر إلى الأبد . لا شيء يفسد ، ولا شيء يتوقف .

لانـــترى : ألم تترك أبداً رطـــلاً من الجبن في الشمس ؟

العجـــوز : ســـيدى !

لانـــترى : آســـف

العجـــوز : آسف ؟ (يشرع في الانصراف ثم يستدير ويفكر) ولكن . . أجل . لابد أنك أحد هؤلاء العائدين لتوهم من كوكب المريـــخ ؟

لانـــترى : المريـــــخ ؟

العجـــوز : (محاولا أن يقنع نفسه ، وقد أصابته الحيرة) ولدت ونشأت هناك ؟ تعودت عاداتهم المروعة ؟ الناس يموتون فعلا هناك . الناس يدفنون هناك ؟ الأشياء تفسد فعلا فى المريـــخ .

لانـــترى : (وقد نجا ، يستغل هذا الموقف) أجل المريخ . انه هـــو !

العجـــوز : على أى رحلة من رحلات أبوللو عدت ؟

لانـــترى : على أحدث رحلـــة

العجـــوز : (غير راضى ، وقـــد أصبح حذراً فجـــأه) ومتى وصلت هذه . . ؟

لانـــترى : (مندفعـــا) الشهر الماضى !

العجـــوز : (ينتابه الشك الآن) فهمت (يستدير ليذهب)

لانـــترى : كلا . انك لا تفهم . . انتظـــر ؟

العجـــوز : (وهو يعود أدراجه) ماذا انتظر ، يا سيدى ؟

لانـــترى : تقول لا شىء يموت ، ولا شىء ينتهى ، ولا شىء يفسد ؟

العجـــوز : أنا لا أقول هذا ، ياسيدى ، بل البرنامج هو الذى يقوله .

لانـــترى : اذن فانت لا تخاف النهايات والانقضاءات ، والظلام .

العجـــوز : انى انظر الى الشمس ، يا سيدى ، ولست أعمى .

لانـــترى : اذن ، أنظر الى مدى أبعد .

(وقد بلغ الرجل العجوز ، والآن يمسك بعنقـــه)

لانـــترى : مـــاذا ترى ؟

العجـــوز : بـــاه !

لانـــترى : (مصراً ، وقد اصبح متوحشا) ماذا ترى ؟

العجـــوز : أوه . كلا . كلا . انقذني ! الظلام ! (يمـــوت)

لانـــترى : لقد اجتزت التجربة يا سيدى . والجواب صحيح . (يستدير بسرعه ليرفع الجثة على الحامل ، ومـــا أن تستقر عليه حتى تتصاعد الموسيقى)

لانـــترى : (ملهماً ، ينادى آمراً) موسيقى ! أجـــل اضحك أطفال . المزيد ! المزيد ! كلا ، كلا ليس ضحكا سعيدا . بل ضحكا يكون الى حد ما . . جنونيـــا ! أيتها الآلآت ، هل تسمعون ! يميل الى . . . الجنون؟ (يتغير الضحك ، ويصبح الضوء أكثر دكانة) .

لانـــترى : كم هذا جميل ! آلات تسمع وتطيع ! أجل،أجل! (يتخذ الضوء كله الآن . . ألوان الارض ،والغسق. يرتفع الضحك والموسيقى الى درجة الجنون) .

لانـــترى : الانسان المولود من الظلام ، يعود الى الظلام .

(يلقى بالجثه ، وأنغام الارغن : باخ ــ بعد منتصف الليل بكثير)

(يوشك لانترى على الانصراف ، ولكنه يتوقـــف ويتحسس نفسه)

لانـــترى : أوه ، ان هذه . . . لمتعة !

(تدخل خادمة فجـــأة)

الخـــادمة : (تنظر حولها) هل عقدت خدمة الآن ؟

لانـــترى : كانت هناك خدمة

الخـــادمة : (تخرج دفتراً) كانت هناك خدمة موعدها الساعـــة العاشرة . . .
وقد انتهت الساعة الآن العاشرة والربع .

لانـــترى : هذا صحيح

الخـــادمة : (ترفع رأسها بحده) من أنت ؟

لانـــترى : أبله مليء بالاجابات الخطأ ، يثير الشك في نفوس العجائز . كل انسان يعلم أن مجموعات من الاطفال يؤتي بهم كل سنة من سني حياتهم ليلقنونهم أن النار شيء رائع ، وان ضوء الشمس ينقضي ، وان اللهب يرحل الى الأبد ، أليس كذلك ؟

الخـــادمة : أنـــا . .

لانـــترى : أصبت ! ولكن هل قلت أيا من هذه الاشياء ؟ كلا . قلت الظلام ، وقلت يموت ، وقلت المـــوت .

الخـــادمة : (ينتابها الذهول والاشمئزاز) هذا شيء لا يقـــال ، أوه ، شيء لايقال على الاطلاق .

لانـــترى : أليس كذلك ؟ الظلام ويموت والمـــوت .

الخـــادمة كلا . كلا . (وتسد أذنيها بيديها)

لانـــترى : لقـــد انتهيت

الخـــادمة : كـــلا !

لانـــترى : قلت انني قد انتهيت

(تبعد الخادمة يديها عن أذنيها)

الخـــادمة : (وهى تشم) : ما . . . ما هذه الرائحة .

لانـــترى : الرائحـــــة ؟

الخـــادمة : سرت في الحقول مرة عند الغسق . وهذه هـــى رائحـــة . . الأرض

لانـــترى : (يومىء ويبتسم) الأرض

الخـــادمة : ولكن اكثر من هذا . . . في الحقل وجدت . بقرة . . بقرة قـــد نفقت . سقطت وانتقلـــت الى الابدية ، ولكنها بقيت في الحقل . . أسبوعـــــا . الرائحـــة ، آه ، من الرائحة . وهى الآن . . هنـــا .

لانـــترى : هـــاك (يمـــد يده)

الخـــادمة : (عيناها تتسعان ، وتشم) انك . . ممتقع اللون جداً

لانـــترى : ممتقع اللون ؟ (ينظر الى يده) أجل ، لم افكر في هذا أبـــداً

الخـــادمة : (كأنها تتلو بعض الاجابات عن أسئلة دينية) الناس ليسوا ممتقعى اللـــون . الناس اما ان يكونوا سمرا أو لوحتهم الشمس أو تكون بشرتهم ذهبية أو بنية .

لانـــترى : هذا شان الناس حقا ، ولكن ليس هذا شأن المـــوتي

الخـــادمة : (في جمود) المـــوتي ؟

لانـــترى : (يخرج سكينا) اتعرفين ما هذه ؟

الخـــادمة : ســـكين

لانــتري : ماذا تقولين لو أخبرتك بأنني سأغمدها حتى مقبضها في صدرك ؟

الخـــادمة : الناس لايفعلون هذا . . الناس لايفعلون هـــــذا ، الناس لا يفعلون . .

لانــتري : أجـــل

الخـــادمة : (كأنها تتلو درسا حفظته عن ظهر قلب) لن تفعل هذا ، لن تفعل . .

لا نــتري : (يلمس كتفها بالسكين) أجـــل

الخـــادمة : (كأنها تتلو اجابات عن أسئلة دينية) الناس لايقتلون الناس . لم يعد أحد يقتل أحدا . لم يعد أحد يمــوت .

لانــتري : (يلمس جبهتها) لقد قتلت صديقك لتوي

الخـــادمة : (كأنها تتلو درسا حفظته عن ظهر قلب) النـــــاس لا يقتلــون

لانــتري : (يلمس صدرها) سيكون مصرعك هو جريمة القتل الرابعة خلال بضع ساعات . في المائة سنة الماضيـــة

الخـــادمة : (كأنها تتلو درسا حفظته وهي واقعة تحت تأثـــــير السحر) لن أقتل . لن أُقتل

لانــتري : ستقفين هنـــا تمـــاما كدجاجة تحت سيطرة التنويم المغناطيسي ، بينما انـــا اسير حولك (يسير) . . هكذا . والآن مدي يدك بالسكين .

الخـــادمة : انك لاتمد يدك . . والناس لا يقتلون

لانــتري : لكي ادفـــع بالنصل

الخـــادمة : انه لن يدخـــل

لانـــترى : مــــوتي

الخـــادمة : انني لا اموت . . انني . . .

(تغمض عيناها . ويتلقفها لانترى وهي تســقط)

(ظلام . موسيقى باخ سريعة . في منتصف الليل صوت عظيم ، كصوت لانترى ، يرتل في الظلام)

صوت لانترى : من الرماد والى الرماد تعود . من التراب والى التراب تعـــود .

(يحدث انفجار هائل يضيء الليل)

(يظهر لانترى ويدفيء يديه على المنظر ، ويمدهم في الهواء بينما الأضواء تزداد ثانيـــة)

لانـــترى : (في وحشية للكون نفسه) ماذا كان هذا ؟ أجل . . انه المحرقة ! الموقد ! مكان النار العظيم ! قـــــد نسف وسبب من النار في التلال ، أكثر من كل الحريف !

(انفجار أخير ، وخفوت الضوء)

لانـــترى : والآن ، الواحد تلو الآخر . سأنسف جميع مواقد النار المحرقة الأخرى قبل أن يشتبه أحد في أنه يوجد بينهم رجل طليق لا أخلاق له البتة . وقبل اكتشافهم هذا المتغير العدو بزمن طويل ، ويليم لانترى هذا ، وبأن عقله قد اختل ، أكـــــون قد هدمت وارتكبت جرائم قتل عبر العالم . ذلك لأنني ، على كل حال ، خفيّ . وطالما أن الجريمة مستحيلة في عالم المستقبل

هذا ، فمن يجرؤ ، من يحاول أن يرى الوحش الظاهر (يمد يديه . . ويومىء . انفجار !) رائع .

(ظـــــلام)

(يضيء النور على ثلاثة رجال فى حلل قفز سوداء وقد نُقشت على جيوب ستراتهم أشكال شموس متألقة . كانوا يجلسون على لوحات تخيلية لتليفونات الكمبيوتر الألكترونيـة ، ومن ورائهم بنـوك الكمبيوتر الضخمة والأجهزة الكهربائية معروضة صورها على قماش ستائر . ونسمع طنين وأنين الآلات وصوت أجراس رقيقة .

يعلو صوت جرس رقيق فوق صوت الأجراس الأخرى ، ويأتي أحد العمال ببعض الحركات دون كلام — بانتومايم — ويطبع الهواء الذى أمامه براحة يده)

العامـــل : (في اقتضاب) معلومات المدينة المركرية

لانـــترى : هل يمكنك أن تعطينى . . أعنى . . رقم تليفون . . ادارة الشرطـــــة ؟

العامـــل : مـــــاذا ؟

صوت لانترى: إدارة الشرطـــــة . . ؟

العامـــل : (في اقتضاب) لاتوجد إدارة بهذا الاسم

(و « يمحو » الهواء بيده . أصوات قطع الاتصال . يقرع جرس ثان . ويطبع العامل الثاني الهواء بيده)

العامل الثاني معلومات المدينة المركزية

صوت لانترى : عفوا ، ولكن . . . الشرطة ؟

العامل الثاني : ســـــيدى ؟

صوت لانترى : إنما أحاول العثـــور على ادارة الشرطة

(ينظر العامل الأول في سخرية إلى العامل الثاني الذى يرفع حاجبيه . يضع العامل الأول « الفيشة » ويتعرف على الصوت ، فينصت . ويفعل العامل الثاني نفس الشيء)

العامل الثاني : (ينطق الكلمتين ببطء) ادا . . رة . . الشر . . طة .

لانـــترى : (يحزر) تنفيذ القانون ؟ قوة القانون ؟

العامل الثاني : المصطلحات التى تستعملها يا سيدى ، لم يعد لهـــا وجود

(ويومىء . فيبدأ الآخرون في تسجيل الكتروني)

لانـــترى آسف ، ولكنى لم أعرف . ؟ .

العامل الثاني : هل أوصلك بمراقبة السلام . . ؟

لانـــترى : أجل . تماما ! السلام ! مراقبة السلام

العامل الثاني : فلتكن إذن المراقبة . لحظة واحدة .

(يدير رقماً في الهواء ، ويومىء إلى العامل الثالث الذى يومىء أيضاً ويغمز بعينه ثم « يطبع » الهـــواء بيده ، ويقرع جرس)

العامل الثالث : مراقبة السلام

لانـــترى : أجل ، حسناً . . . . . أوصلني بفرقة القتل

العامل الثالث : ســـــيدى ؟

لانـــترى : قسم القتل . تحقيق حوادث العنف ؟ الاعتداء والضرب ؟ القتـــل ؟

العامل الثالث : ســـيدى !

(يصاب العمال الثلاثة بالذهول . وتعمل أيديهم عملا اضافيا على الهواء ، وهم يمثلون بالحركات فقط قطع الدوائر الكهربائية)

لانـــترى : أليست هناك إدارة لتحقيق . . الوفيات ؟

العامل الثالث : انك فى حاجة ملحة للمساعدة يا سيدى (يتحقق من دوائر كهربائية خيالية فى الهواء أمامه) . انك فى محطة تليفون عند سالم والشارع الثاني عشر . أرجوك أن تبقى هناك حتى يصل الناس الهادئون .

لانـــترى : الناس الهادئون ؟ ماذا ؟ هل قلت الناس الهادئون

العامل الثالث : لا تترك المكان يا سيدى . فالمعونة فى طريقها إليك .

لانـــترى : سيدى ، سيدى . . !

العامل الثالث : أجــــــل ؟

لانـــترى : (يأخذ نفساً عميقاً ، ويحبسه . ثم يطلقه بعنف) رقم خطأ !

(قرقعة مخابرة تليفونية . يطن الجهاز ويئن . ويومىء الرجال الثلاثـــة أثنـــاء حديثهـــــم . ويروحون يتكلمون فى أجهـــزة تليفوناتهم كلهم فى وقت واحـــد)

العامل الأول : مراقبة السلام ، بسرعة. . . الوحدة الثانية عشرة

العامل الثاني : الناس الهادئون . . . الوحدة السابعـــة

العامل الثالث : منطقة السكون ، بقرب سالم والشارع الثاني عشر

العامل الأول : سالم والشارع الثاني عشر

العامل الثاني : أجل ، سالم والشارع الثاني عشر !

(يمدون أيديهم « ليلمسوا » الهواء مرة أخيرة . وتطن الأجراس)

صوت لانترى .. رقم خطأ .. رقم خطأ .. خطأ ....
(أزيز أخـــير ، وتتراقــص الأضواء . بعض أنغام الموسيقى . ظلام . ثم يسلط الضوء على لانترى وهو نائم . يتحرك) .

لانـــترى : أستيقظ في الغروب بحلم عن النار . وأرى نفسي أدفع في الأتون ، أحترق حتى أصبح رماداً ، ثم يحترق الرماد حتى يصير ترابا . يا إلهى ، أيمكن للموتي أن يحلموا (يومىء) ويكرهوا أحلامهم . (ينصت) ماذا ؟ (يرفع يده ليلمس شيئاً ما في الهواء) هذا المبنى ؟ انه « يناديني » . يجب . . أن أذهب إلى هنـــاك

(يخـــرج في الظلام)

(ويسلط الضوء على : مكتبة من مكتبات المستقبل)
(تجلس امرأة بين « الأكوام » وهى عبارة عــــن صور يعرضها جهاز العرض « لكتب » غريبة الشكل

وأشياء اذا التقطت ، بدأت تتكلم ببعض اللغـــات وتتلو من تلقاء نفسها)

يدخل شاب ويهمس للمرأة فتشير إلى جانب . فيذهب ليلتقط « كتابا » من مكانه ، حيث يكون معلقاً كقيثار غريب إلى يسارها . ويلمسه بيده . فيتمتم صوت رقيـــق)

الصـــوت : زاوية وتر المثلث . . الخ . . الخ

(تدخل شابة وتتوجه إلى اليمين ، حيث تلتقط كتاب صوت وتمر عليه بيديها مراً سريعاً ، كما تفعل على آلة وترية . فيتمتم الكتاب)

الصوت الثاني : عدد سكان ولاية نيويورك الكبرى . . الخ . . الخ

(يدخل رجل ثالث ، ويوجه إلى خلف المرأة حيث يوجد « كتابه » ، يلمسه ، فيهمس)

الصوت الثالث : في سن الثالثة والثلاثين . ذهب هكتور برليوز ليقيم في روما بايطاليا . وقد كان في ذلك الوقت . . .

(تتصاعد الموسيقى في رفق : برليوز . وفي وسط كل هذه الأصوات ، وتردد الصدى ، والهمسات والموسيقى . يدخل لانترى من جهة اليسار ، ويتلفت حوله ، وينصت ، ويفكر ملياً ثم يستدير)

لانـــترى : أجل . . أجل ، أيمكن أن يكون هذا ؟ شيء غريب ، غريب جداً ، ولكنها مكتبة . . وأنا وحيد . أحتاج لأصدقاء . أصدقاء من طراز خاص . أناس مثلي . أيوجد منهم أحد في العالم كله ؟ أم أنني — يا الهي —

ميت وقد دفنت بلحمى ، وحيد . . وحيد ؟ قد يكون هذا هو المكان الذى أعرف فيه الحقيقة .

(يثبت عزمه . ويستدير ثم يسير رأساً إلى المرأة التى تجلس على المكتب بين الهمسات وأصوات الموسيقى الغريبـــة) .

أمينة المكتبة : أجـــــل ؟

لانـــترى : أود أن أقرأ . . أعنى . . (يتوقف ، ويقول محدثاً نفسه) حذار

(ينظر ، وينصت ، وينتظر)

أمينة المكتبة : عفـــــواً ؟

لانـــترى : (محدثاً نفسه) حذار . ألا يزال الناس يقرأون الكتب ؟ أم أنهم يشاهدونها كالأفلام السينمائيـــة أو يلهون بهـــا كاللعب .

(ينظر إلى الناس وهم « يلعبون بكتبهم القيثاره » وهو مسلوب العقل ثم يعود إلى أمينة المكتبة)

لانـــترى : أود . . أن احصل على ادجار آلان بو ؟(١)

أمينة المكتبة : (وقد انتابها الحيره) ســـــيدى ؟

لانـــترى : بو . . ادجار آلان ؟

أمينة المكتبة : آه . ان هذا يكون من القصص الخيالية ، أليس كذلك ؟

لانـــترى : . . جـــــل . .

أمينة المكتبة : (بازدراء) ليس لدينا قصص خياليه ، طبعاً .

لانـــترى : (وقد صعق واصابه الذهول) لا قصص خيالية !

أمينة المكتبة : (تضع أصبعاً فوق شفتها) صه

لانـــترى : (يخفض صوته) لا قصص خيالية . . ؟

أمينة المكتبة : ولكنك طبعاً كنت تعلم هذا ؟ انتظر . لقد فهمت أنت أحـــد هؤلاء الغرباء القادمين من المريـــخ ! (تضحك)

لانـــترى : لقد عدت لتوى . وكنت هناك إلى الابد !

أمينة المكتبة : ولكن من المؤكد أنهم ، حتى هناك ، قد اخبروك

لانـــترى : عن أى شيء . . ؟

أمينة المكتبة : (فى رهبة مقدسة) الحريق العظيم الذى حدث منذ عشر سنوات .

لانـــترى : طبعاً ، الحريق العظيم

أمينة المكتبة : (بفخر) لقد أحرقنا مستر بو .

لانـــترى : أحرقتمـــــوه ! ؟

أمينة المكتبة : ومستر ديكنز(٢) ، ومستر ها وثورن(٣) ، ومستر ملفيل(٤) ، . أحرقناهم ، أحرقناهم ، أحرقناهم . آه ، لقد كان المنظر جميلاً جداً . لقد استحقوا أن ينالوا راحتهـــــم .

لانـــترى : استحقـــــوا ؟

أمينة المكتبة : لم يكونوا حقيقيين . لم يكونوا كذلك أبداً . كانوا جميعاً من الحالمين لا علاقة لهم بالحقيقة والبيانات والمعلومات .

لانـــترى : والذلك قتلتموهم . . وحسب .

أمينة المكتبة : كلا . كلا . أحرقناهم تكون أقرب إلى الواقع

(بوينادى فى رقة . . من بين الظلال)

بـــو : كلا . . لم أُقتـــل . . !

(لانترى يسمع الصوت : فيستدير ، ويتعجب ولكنه لا يرى شيئاً . فيعود إلى أمينة المكتبة)

لانـــترى : أحرقتمـــــوهم . . . ؟

أمينة المكتبة : ومستر ديكنز

ديـــكنز : (ينادى من بين الظلال) كلا !

أمينة المكتبة : ومستر هاوثـــــورن

هاوثـــورن : (كما فعل الآخران) كلا . لا شيء من هذا .

أمينة المكتبة : ومستر ملفيـــل

ملفيـــل : (مع الآخرين) اللعنه ، كلا .

أمينة المكتبة : وهنرى جيمس(٥) ، ومستر شتاينبك(٦) ، وولين ميكبيس ثاكرى(٧) و . . .

(ويصيح كورس من الاشباح « كلا ! » . ويقف المؤلفون الأربعة خلف لانترى ، والانوار غير مضاءة . كانوا أشباحاً لاتراهم العين إلا لماما ، ومن خلفهم – أو ربما تعرض صورهم بجهاز عرض – أشباح المؤلفين الآخرين ، فى ضباب خفيف وقد أعيد تشكيلهم وهم يمدون أيديهم ويتنهدون)

المؤلفـــون : نرجوك . . نرجوك ، كلا . . !

أمينة المكتبة : (فى رقة واختيال) آه ، لقد كان حريقاً جميلاً بلغ الغاية فى الكفاية ، وكان يجب إراحتهم منذ قرون .

لانـــترى : كان يجب ؟

المؤلفـــون : كلا . . آه ، كلا ، كلا

(ويسمع لانترى ، ويستدير ، ويرى فى غبشة)

لانـــترى : أجل . أجل ، كانت هناك قصة ذات مرة . . .

أمينة المكتبة : قصـــة ؟

لانـــترى : أجل ! قصة خيالية ! تأليف كاتب لا أذكر اسمه .. كتب يقول أنه فى طول الأرض وعرضها أُحرقت الأسماء العظيمـــــة . . .

(تنهيدة من المؤلفـــين)

لانـــترى : اختفت معظم كتبهـــــم . .

المؤلفـــون : (يهمسون) . . . اختفت . .

لانـــترى : ولهذا السبب ، طار أشباح المؤلفين إلى المريخ . . وعاشوا هناك كأحلام مكتوبة وكقصص خيالية رائعة وكخرافات غريبة عن تخيلات قديمة عزيزة . . (يتحرك المؤلفون ويدمدمون ، وهم يتذكرون)

لانـــترى : إلى أن وصل يوما صاروخ من الأرض مع الحارقين والمراقبين والمخربين الجامعين للبيانات ، الذين لم يكونوا يعيشون الا بالحقيقة لا بالأحلام . وجاءوا معهم بالكتب الأخيرة والحياة الأخيرة لهذه الأشباح

الأخـيرة واحرقوهـم على رمـال المريـخ العجوز الميت . . .

(يقصف الرعد ويضيء البرق في السماء . يرفع لانترى عينيه إلى السماء ويحمي عينيه من الضوء ثم يتعقب البرق والرعد إلى أسفـل) .

لانـترى : الصاروخ . . الصاروخ . .

(يخفت صوت الرعد . . ويخرج قائد الصاروخ من الظلام ، ويقف وراء مساعد يحمل كتباً . كما يحمل القائد قائمة يلقى عليها نظرة) .

لانـترى : قائد الصاروخ ! آه ، أنظر . تفوح منه رائحة المنتول واليود ، والصابون الأخضر . وهو مهذب . وقد قلّم أظافره وتعطّر . ونُظفت أسنانه البيض بمعجون الأسنان وقد احتقنت أذناه حتى أصبح لونهما وردياً ، وكذلك وجنتاه . وقد قص شعره المجعد منذ عهد قريب وتفوح منه رائحة الكحول . حتى أنفاسه جديده وأكثر من حلوة . وليس ثمة بقعة قذارة عليه . ومع هذا فقد جاء . . .

القـائد : (مقاطعاً ويقول مخاطباً نفسه) ليقتل .

المسـاعد : سـيدى ؟

القـائد : ليقتل ، بمنتهى الصراحة . ادفن الاشباح الاخيرة . معك الكتب ، فدعنا نراجع القائمة .قصص الغموض والخيال تأليف بـو ؟

المساعد : مضبوط . (مراجعاً القائمـة) .

القـــائد : دراكولا تأليف برام ســتوكر . (٨)

المساعد : مضبوط !

القـــائد : أسطورة التجويف النائم تأليف واشنطن أرفنج .(٩)

المساعد : مضبوط !

القـــائد : (بسرعة) دورة اللولب تأليف هنرى جيمس(١٠)

المساعد : مضبوط

القـــائد : (باقتضاب شديد وبسرعة) فرانكشتاين تأليــف مــارى شيــللى (١١) ؟ ابنــه راباشينى تأليــف هاوثورن (١٢) ، مغامرات اليس في بلاد العجائب تأليف كارول (١٣) ؟ ساحــر أوز تأليـــف فرانك بوم (١٤) .

المساعد : مضبوط ، مضبوط ، مضبوط ، مضبوط (أصوات المؤلفين تدمدم وتندب همساً)

كلهــم : (همسا) آه كلا . . آه ، انتظــر ، انتظــــر ! كلا . . كلا . .

القـــائد : لفكرافت(١٥) ، ويلــز(١٦) ، هكسلى (١٧) . مضبوط مضبوط ، مضبوط . الق بهم جميعا .

المساعد : لقد ألقى بهم (يفعل هذا)

لانــترى : آه . أيتها الارواح الضائعة ، أنظرى الينـــا . . . أنظرى اليهم ، رجلان من رجال الصواريـــخ . رجلان ضد فرقة ومع ذلك نفشل . على طــــول الرفوف الصخرية بصحراء المريخ ، الليله ، فيمــا

وراءنا ، انظرى . جيوش شكسبير (١٨) وحـده وفيرة العدد . . . . هناك الساحرات الثلاث (١٩) ، وأوبيرون (٢٠) وشبح ابى همات (٢١) . وهنـاك ريتشارد (٢٢) وأفراد بلاطه المقتول وجيوش الخيال القوية والزمن الغريب ضدهم . . . عدّوهـم ، رجلان نظيفان تفوح منهما رائحة الصابون والصلاح ! هلموا بنا نرحل !

الجميـع : (همسا) فلنرحل ، اجل ، فلنرحل !

القـائد : (في اقتضاب) اللهب !

المساعد : اللهـب . .

(يقوم المساعد باداء حركات صامتة – بانتومايم – تمثل اشعال عود ثقاب في الكتب ، ويغرق ضـوء اللهب المتألق القائد وحده ، كما يُحدث ظـلالا متراقصة من النيران)

القـائد : (يسخّن يديه في الضوء) هكذا . هكذا . هكـذا نكرّس انفسنا للعلم والتقدم . هكذا ندمر المـاضى المظلم ونحرق كل الخرافات . هكذا نحرق الاسماء المروعة ، الاسماء البشعة لكابل (٢٣) ودونساني (٢٤) وتولكين (٢٥) وبو وكارول ولفكرافت وبـوم . هكذا . . هكذا . . .

الجميـع : آه ! . آه ! . . أننا نموت . . أننا نموت . . . أنقذنا !

لانـترى : سأنقذكـم !

(ولكنه لا يستطيع التحرك ، فقد تسمرّ في مكانه
واخذ « يرى » فحسب المأساة تتم أمامه)

القـائد : (بجفاء) ما هذا ، ما هذا الذى قالته الساحرة الخبيثة في نهاية قصة (ساحر أوز) عندما القى عليها دلو المـاء ؟

المساعد : (يحاول أن يتذكر ، ويتذكر فعلاً) انى . . انى اذوب . . .

القـائد : (وهو مسرور ، يشير الى الكتب) انى . . أذوب

الجميع : نذوب . . . . نذوب

(يتراجع المؤلفون الى الظلال ، ويختفون ثم تتلاشى أصواتهم)

لانـترى : كلا . . أرجوكم ! انتظروا !

(ولكنهم كانوا قد رحلوا . وكان لانترى قد تقدم نحو منطقتهم ، ولكنه يتوقف لأنه معزول ، وتعود ألوان المكتبة وأنوارها الى الظهور ثانيـة . والناس يعزفون كتبهم ، وأصوات رقيقـة تغنى البيانات)

امينة المكتبة : (تعود للظهور وهى تقرأ قائمتها) لفكرافت وبـوم وبوروز (٢٦) هذه هى القائمة الكاملة آ ه ، ومستر ملفيل طبعاً ، أيا كان . .

لانـترى : (محدثا نفسه) كلا ! الرجل الذى أنشأ صوتا يصبح الآن مجهولاً

(يستدير ويصبح بها) أتعرفين من تكونين ؟

امينة المكتبة : (وقد انتابها الفزع) سيدى !

لانـــترى : قاتلـــة ! . قاتلـــة ! .

امينة المكتبة : (تقف) سأستدعى فرقة السلام يا سيدى . . انـــك في حاجة الى السلام سيقومون بحقنك . .

لانـــترى : يحقنوني ! أهناك اذن حقنـــة لجنوني ؟ (يتوقـــف متمالكاً نفسه)

امينة المكتبة : لقد سافرت مسافة طويلة يا سيدى . وقد أجهدتك الرحلة من المريخ . ولن أستدعى الفرقه .

لانـــترى : شكرا . سأعود . أى يوم هذا ؟

امينة المكتبة : لمـــاذا ، ٢٩ اكتوبر ، طبعاً .

لانـــترى : (يصدر صوتا يدل على السخرية) آه ، حســـنا ! سأعود بعد يومين في عيد جميع القديسين .

امينة المكتبة : عيد جميع القديسين ؟ انت تعلم انه لم يعـــد وجود لهذا العيد

لانـــترى : (نبضه) كلا . . هل . . احرقوا هذا ايضا ؟ (تبتسم امينة المكتبة وتومىء في غرور . يُسمع هدير وقرقعة هائلين كأن ناراً عظيمة وغير عادية قـــــد شبت . ينظر لانترى نحوها مذهولا)

لانـــترى : أيها القتلة . أجل . . قتلة ! (يتجول في الظلمة . أما أمينة المكتبة وقـــد هبت واقفة اثر ثورته الاخيرة ــ تنتظر نبضة ثم تجلـــس « وتدير رقما »)

امينة المكتبة : كيو ــ ١١٢ ؟ هنا المكتبة . . فرقة السلام من فضلك .

(اظلام . صفارات انـــذار . اصوات سيارات
أصوات أخرى . ثم تضئ الأنوار ثانية بينما يركض
لا نترى ثم يتوقف وينظر وراءه)

آ ه ، الآن ، يجب أن يكون الانسان حذراً . كم أنا
متزن اتزاناً غريباً في هذا العالم . كأنني نوع ما مـــن
جهاز الجيروسكوب الاسود ، يدور دون أن يصدر
عنه اى صوت ، رجل صامت جداً (يتفرس حوله)
أنوار الشوارع ! كم هى خافتة . وكم هى قليلة !
لا يمكن أن تكون . . . .

شـــاب : (ماراً في هذه اللحظة) لا يمكن أن تكون مـــاذا ؟
(يحملق في لانترى)

لانـــترى : أيمكنك ان تخبرني ، اعنى . . .

الشـــاب : اخبرك بمـــاذا ؟

لانـــترى : لماذا أرى انوار الشوارع قليلة جدا ، وهى مع ذلك
غاية في الخفوت ، ولا أجد منها شيئا في وســـــط
العمارات ؟

الشـــاب : لمـــــاذا ؟

لانـــترى : انني مدرس . واختبر معلوماتك فحسب .

الشـــاب : (مشدوهاً) مدرس

لانـــترى : والدنيا ظـــلام

الشـــاب : وما في ذلك ؟

لانـــترى : ألست خائفا ؟

الشـــاب : من أى شىء ؟

لانـــترى : (وقد ضاق صدره) من الظلام ، طبعا ، الظلام !

الشـــاب : (بهدوء) هو . هو

لانـــترى : الست خائفا ، أليسوا خائفين ؟ أليس كل انســـان خائفـــاً ؟

الشـــاب : (بسهولة) هو . . هو ، تخاف الظلام ! ها . . هى . . وو . . . يا صديقى

لانـــترى : ولكن أنوار الشوارع اخترعت لتبديد الظلام ،ولمنع الخـــوف

الشـــاب : غبى . ليس هذا هو طبعا السبب ، وانما أخترعـــت حتى يمكنك ان ترى اين تسير أو تقود سيارتك . . ولكن لا لسبب آخر (يهز رأسه) غبى حقا .

لانـــترى : اتعنى ان تقول انك تستطيع السير في ذلك الشـــارع الذى هناك ، ذلك الزقاق غير المضاء ، ولا تخاف ؟

الشـــاب : (يصدر صوتاً يدل على السخرية) بكل تأكيـــــد

لانـــترى : وتخرج إلى التلال وتبقى طول الليل فى الظلام دون ضوء ؟

الشـــاب : بكل تأكيـــــد

لانـــترى : وتدخل منزلا مسكونا وتبقى وحدك ولا تخاف ؟

الشـــاب : مـــــاذا ؟

لانـــترى : (يراجع نفسه) منزلا خالياً

الشـــاب : بكل تأكيـــد

لانـــترى : انك تكذب ! تكذب ! تكذب ، أقول لك أنك لا بد أن تخاف ، يجب أن تخاف ، انك تكذب

الشـــاب : (يكف عن الضحك ويكرر كأنه حفظ درسا يسمعّه) أكـــذب ؟ لم اكـــذب في حيـــاتي على الاطلاق . الناس لا يكذبون . الناس لا يكذبون . . .

لانـــترى : أنت تكذب !

الشـــاب : لا يكذب الا غير المنصفين وراثيا . لا يكذب الا غير الاكفاء غدديا ، لا يكذب الا . . . .

(يحملق الشاب في لانترى)

الشـــاب : كم أنت ممتقع اللون يا صديقى . كم أنت أبيض اللون يا صديقى . لم أر أحداً أبدا بهذا الامتقاع وهذا البياض ، صديقـــى . .

لانـــترى : (يتقدم مهدداً) ألست خائفاً منى ، لسبب ما ؟

الشـــاب : (بهدوء) كلا .

لانـــترى : (يضع يدا على كتف الشاب) والآن ؟

الشـــاب : كـــــلا

لانـــترى : (يضع كلتا يديه على عنق الشاب) والآن ؟

الشـــاب : (بهدوء) قـــد تكون غـــير منصف وراثياً أو على الارجح غير كفء غدديا مع لون جلدك ومـــــن ثم . . . (يهز كتفيه)

(تدوى صفارة انذار . يستدير لانترى ويتراجع)

الشـــاب : انتظر . . عليّ اللعنة . انك خائف . انك مذعور . انك مرعوب

لانــترى : كلا ! . (يخرج راكضا)

الشــاب : (ينادى فى أعقابه) لا تخف. آه ، أرجوك ألا تخاف (يفكر ثم يضحك وينادى) احذر الظلام . احذر الظلام .

(اظلام . ومــن الظلام نسمع أصوات اطفــال مارين ، يضحكون ويصيحون)

الاطفــال : خدعة أم متعــة . . . . ها . . ها . . خدعــة أم متعة ! . . شكراً . . خدعة . . خدعة ! .

(تتلاشى الأصوات ، بينما يدخل لانترى وهو ينصت)

لانــترى : آه ، كلا ! كل هذا . . انتهى ؟ كل القديسين ماتوا ؟ لم يعد هناك خدعة أو متعة ؟ لم يعد هنــاك أطفال سعداء وسعى وراء الحلوى ؟ والرحلات التى لا نهاية لها فى غسق الخريف النادر فى المدن ، وكلها جوائز من النعناع وبيبى روث ؟ لا شىء من هذا ؟ ثكلتنى أمى ! يا للغباء العفن المستحكم الزاحف الذى خلا فمه من كل شىء . أى متعة تجدها فى الاطفال اذا لم تتخيل الأشياء ؟ آه ، أيها العالم الجديد غير الشجاع الذى يشتمل على مثل هؤلاء الجبناء ، أننى عدوك ! وكل الرجال من أمثالى ! قل لنا ستحرقنا ، ولكننا لا نحترق ! قل لنا أننا موتى إلى الأبد ، وعند ئذ تتحرك ! قل لنا أنه لا يوجد مصاصو دماء فى العالم ونحن نسعى إلى الدم ! قل لى اننى لا استطيع السير ، فأسير . ضع القتل

جانباً ، وأنا أؤكد لك أنني سأبعثه كاملا ! فأنا — بالاختصار — كل الأشياء المستحيلة التي تحققت ، لقد بعثني من جديد بمفرقعات الصودا العادية اللعينة ونفايات اليخنات التي لا طعم لها المسلوقه مـــن الجهالات التي أنشأت الايمان العلمي الجديد . هل تقولون أن الشمس مفيدة ، وأنها كل شيء ؟ وأنا اقول وكذلك الليل والظلام . الظلام مروع ، أنصتوا ! لقد قُصد بالليل المقارنة . لا بد أن نُحاذرا ، والا فما فائدة الحياة ؟ لا توجد بدايات بغير نهاية ، أتدركون هذا ؟ لا معنى للظهر دون منتصف الليل ، أيها البلهاء ! أنصتوا . اسمعوا (ينتظر) كلا ؟ حسنا إذن ، حذار يا قاتلي سنوكر وبو على الوتد ، يا حارقي تولكين ، الذين يقتلون سانتاكلوز في عشية عيد الميلاد ويصلبون المسيح إلى الأبـــــد .

سأجعل الليل ما كان عليه يوما . وهو الشيء الذي نشأتم لمقاومته أيها الرجال العديمو النفع ، ذوو الفطنة ، المغرورون ، العلماء ، وأضأتم كل مدنكم ذات المصابيح . انني اقرع بابكم . وأنتظر . لامتعة ولا لهو في الفزع والرعب ؟ حسناً إذن : خدع هائلة جبارة من هذا الطفل الاسود .

(وتخفت الاضواء بسرعة ، بينما يخرج لانتري ، ويمر الاطفال الاشباح للمرة الأخيرة وهم يصيحون في رفق « خدعة أو متعة » ويتلاشى المنظر . يسلط

الضوء على أمينة المكتبة . ويدخل قائد سفينة الفضاء في خفة ونشاط ليواجهها) .

بيرك القائد : طاب مساؤك

أمينة المكتبة : آه ، أجل . انه الكابتن بيرك . أليس كذلك ؟

بـــيرك : أصبت . أنا بـــيرك

أمينة المكتبة : عدت لتوك من المريخ . لقد كانت ليلة ليلاء على قومـــك

بـــيرك : قومـــــي ؟

أمينة المكتبة : السيد الآخر ، صديقك ، لقد قال . . .

بـــيرك : السيد ؟ الآخــــر ؟

أمينة المكتبة : كان شاحب اللون جداً . وقال أنه عاد منذ يومين معك من المريخ .

بـــيرك : ولكن أحداً لم يأت معي ، فقد جئت وحدى

أمينة المكتبة : آه ، يا الهى . آه ، يا الهى . كان يكذب إذن ؟ الناس لا يكذبون

بـــيرك : الناس لا يكذبون

أمينة المكتبة : الناس لا يكذبون (تطلب رقماً بالتليفون) فرقة السلام ، من فضلك .

(وتخفت الاضواء بينما هى تكرر ما تقول)

أمينة المكتبة : فرقة السلام ، من فضلك

(يقف الشاب فى دائرة ضوء خاصة به . وهو يحادث رجلاً فى الظلال)

الشـــاب : كان يسير هنا . أجل ، يسير ،
يسير . وسألني ما اذا كنت خائفاً من الظلام ،
أيمكنك أن تتخيل هذا ؟ لقد كان يسير . أما أنا
فكنت أسير لأن سيارتي تعطلت . أما هو فقد بدا
أنه يسير ، يسير ، أجل ، يسير ، يسير . . .

(يتلاشى الضوء وتتسلط الأنوار الكاشفة بالتعاقب
على مختلف الناس : أمينة المكتبـــة ، والشاب ،
وبيرك ، وسميث حافر القبور الأول)

أمينة المكتبة : لقد كان شاحب اللون . .

الشـــاب : يسير . . . يسير

ســـميث : (واحدى يديه على حلقـــه) الناس لا يقتلون ،
الناس لا . .

بـــيرك : الناس لا يكذبون

أمينة المكتبة : الناس لا يكذبون

ســـميث : الناس لا يقتلون ، الناس لا . .

بـــيرك : الناس لا يكذبون

(الجميع يثرثرون مرددين نصوصهم ، ثم يتلاشى
المنظر وفي ضوء على جانب واحد ، يظهر ماكلور
ضابط فرقة السلام)

ماكلـــور : ماكلور ضابط فرقة السلام

أمينة المكتبة : (بسعادة) آه ، أجل !

ماكلـــور : هل كان هنا رجل يكذب ؟

أمينة المكتبة : قال أنه جاء من المريخ

ماكلـــور : رجل جريمته أنه كان شاحب اللون . .

أمينة المكتبة : شاحب اللون جداً . . .

ماكلـــور : (لبيرك) أليس صديقك ؟

بـــيرك : قال أنه كذلك .

ماكلـــور : (يأخذ مذكرات على كمبيوتر صغير يمسكه بيده) رجل غريب ، ليس من المريخ وشاحب اللـــــون ، وملىء بالأكاذيب . .

ســـميث : (حافر القبور) ويقتل يا سيدى ، ويقتل يا سيدى ، ويقتل !

ماكلـــور : فكرة مذهلة (يكتب) ولكن ، يقتل أيضاً .

(انفجار عنيف . كلهم يلتفتون وينظرون)

ماكلـــور : و . . . يتجول . . وهو ينسف أماكن الشمس ، ومواضع المواقد وأفران حريق الأرواح ؟

(انفجارات . انفجارات . انفجارات ماكلور ينتظر نبضة ، ويرمق السماء الحمراء . ثم يخرج)

(اظلام . يدخل لانترى بين الجثث المنثوره فيما يشبه المشرحة . ونحن نرى صور الموتى الممدين وقد غطتهم الملايات ، فوق القماش الخلفى وعلى الأرضية من حـــــوله)

لانـــترى : ما هذا ؟ مشرحة مؤقتة ؟ أجل ، أجل . أما وقـــد نسفت جميع أفران الحريق فلم يعد ثمة مـــــكان

لجميع الجثث إلا هنا ، مبنى الألعاب الرياضية بمدرسة ثانوية . حسناً . .

(ينتقل لانترى بين الظلال والصور)

لانـــترى : أجل (نبضة) أجل ! (يشير إلى كل المكان من حوله بحنان وكأنه يشير إلى أطفـــاله) بعد لحظة واحدة فقط ستعودون جديدين كما كنتم . أصدقاء ؟

(يومىء برأسه أن نعم) أصدقاء . دعوني أرى بعضكم . .

(وينتقـــل بينهم ، وهو يقـــرأ الأسماء التى على البطاقات أو على القمصان)

لانـــترى : جريسولد ، هارت ، رمنجتون ، حسناً . ستقومون وتسيرون معى وتزيدون عدد الموتى (ينحنى ويقرأ) كاروثرز ، مهندس معمارى ! أجل ! الآن ، اسمع يا كاروثرز ، عندما تستيقظ وتنهض ، سنعيد بناء بيت أوشر(٢٧) ! وابن لنا قردة شبيهة بالانسان لتجوس خلال قاعاته منتصف الليل ، وقردة آلية ظريفه تتك فى جنون ، تجد وتحتفظ بأحسن علماء الاجتماع المثقفين لهذا الزمن الطاهر . وتحشو بهم المداخـــــن !

حتى عندما يركض هذا القرد على غير هدى فى شارع المشرحة(٢٨) ، ويحشر جثة داخل مدخنة ! سننشأ الموت الاحمر وندور ونتجول أحراراً لكى ننشر طاعونا آليا ونعلّم الناس ما لم يتعلموا فـــى

سنوات : أن يرهبوا الظلام ، وأن يخافوا يــــد عنكبوت وأن يهربوا من الخناجر والبنادق . . حتى أننا فى آخر ما نبنى مع النوريلات الضخمة ، والقطط السوداء التى اختلت عقولها ، والطاعون المتفشى سندفع بمجموعة من المدرسين والعلماء والفاعلـــين المبرزين إلى سراديب الموتى الخاصة بالناس الآليين ونكتم صرخاتهم ببناء جدران مـــن الطوب والبراميل المصنوعة من . . آه ، الآن ، أجل ! أمونتيلادو(٢٩) . ثم نتراجع ونضغط زراً ينزل الزنزانات ويسمح بدخول الماء ، وعندئذ يغرق شبح الاوبرا (٣٠) ، وتماثيل الشمع ، والقتلة ، والقردة الآلية البكماء ، وعلماء الاجتماع ، وعلماء النفس وهم يعضون وينبحون ويطبقون أسنانهم على ذيولهم ، ويغرقون ، عندما ينهار منزل أو شر الثاني ويصبح ركاماً وأتربة ويفقد النظر النسيان .

(ونسمع من بعيد صوت سقوط المنزل فى البحيرة)

لانـــترى : (نبضة) هل لك أن تبنى هذا معى ؟ (يومىء برأسه راضياً) أعتقد أنك ستفعل . أما عن الباقى ؟ ستعرف عما قريب . . الآن !

(يدخل ماكلـــور دون أن يراه لانترى الذى يشغل نفسه بطباشير أخرجه من جيبـــه)

لانـــترى : النجوم الحماسية السحرية والرموز ، هكذا ، وهكذا ، الرموز . والنجوم الحماسية السحرية هنا والآن هناك . وهناك !

(لقد ميز ملايات الموتى بالعلامات . ويرسم الآن دائرة كبيرة على الأرض تتضمنه بالاضافه إلى العديد من الصــــور)

لانـــترى : هل نحن مستعدون ؟ نحن مستعدون ! إذن الآن ، قوموا ! قوموا ، أيها الأموات قوموا يا اخوتي واخواتي ، تحركوا ثم اذهبوا معــى !

احيو ! احيوا ! بحق كل ما هو غير مقدس . أو ، ولِمَ لا ؟ بحق كل ما هو مقدس ! احيوا !

(لا حركة . لا شيء يتحرك) .

لانـــترى : لقد وضعت عليكم العلامات ! وقلت الكلمات ! وأنا آمركم ! انهضوا ! قوموا ! (وقد انتابه الذهول الآن ، وهو لا يفهم) كلا ؟ ولكن العلامة هــى هـــــكذا . . . . . !

(يضع المزيد من الرموز على الأرضية) والكلمة هــى : احيــوا !

(لا شيء يتحرك . ويسود السكون)

لانـــترى : ولكن يجب أن تقوموا . ولِـمَ لا . لِـمَ لا تريدون أن تقوموا لتكونوا معى ؟ فى كل السنوات والقرون كنتم دائماً تفعلون ! هذه العلامات ، وهذه الكلمات فعلت هذا ! ولكن ليس لكـــــم

(يسمع صوت طائرة نفاثة تطير فوق رأسه . فيراقب الصوت وهو ينتقل)

(وتدوى صفارة انذار فى مكان بعيد جداً . يرتخى كتفا لانترى فى بطء ، ويعلو الاكتئاب وجهـــه)

لانـــترى : آه ، خذني ايها الطاعون فأنى أبله . أبله (نبضة)
أيها الأبله العجـــــوز . هذه هي سنة . . . .

ماكلـــور : (بهدوء) ٢٢٧٤

(كان ماكلور يقف منـــذ فترة على جانب ينتظر ،
ويدخـــــن)

لانـــترى : (وقد انتابه الفزع) مـــــاذا ؟

ماكلـــور : (بهدوء) ٢٢٧٤

لانـــترى : آه ، أجل ، السنة

ماكلـــور : وقت متأخر جداً . متأخر جداً بالنسبة لك .

لانـــترى : منذ متى وانت تقف هناك ؟

ماكلـــور : منذ فترة

لانـــترى : هل رأيت كل شيء ؟

(يومىء ماكلور برأسه أن نعم ، وينفخ الدخان
ببطء)

لانـــترى : هؤلاء لا يريدون أن يتحركوا

ماكلـــور : ولماذا يتحركون ؟ انهم أمـــــوات .

لانـــترى : كان الناس يرتعدون عندما يسمعون الرياح تعصف
حول المنزل . وكان الناس يرفعون تمثال المسيح
مصلوباً ، نبات خانق الذئب . ويؤمنون بالموتى
الذين يسيرون وبالخفافيش والذئاب القافزة . وطالما
كانوا يؤمنون ، كان للموتى والخفافيش وللذئاب
القافزة وجود . كان العقل يجسدهم ، ولكن
هؤلاء . . هؤلاء . . ؟

(يومىء إلى الصور الساكنة ، اتى يرنو إليهـــا ماكالـــور فى هدوء) .

ماكلـــور : انهم لا يؤمنون ، بل انهم لم يؤمنوا يوماً فى حياتهم . ولم يقرأوا عن الموتى الذين يسيرون أو يتحدثوا عنهم أو يعرفوهم ، ولم يروّجوا الخرافات . ولم يرتعدوا فى الليل أو يشكّوا فى الظلام ، لقد نشأوا فـــى المنتول وجرى تنظيفهم بالصابون والملح وتم شطفهم فى الادوية وأديروا لكى يجفوا وينظفوا انهم لا يعرفون الأشباح ، وليس لهم أشباح . والعظام هى مجرد عظام لمثل هؤلاء . ولما كان هذا صحيحاً . . .

لانـــترى : . . . فانهم لا يستطيعون أن ينهضوا ، أو أن يسيروا .

ماكالـــور : ما من طباشير يمكن أن يعلمهم أو رمز يمكن أن يجعلهم يتنفسون . ما من تشهير مسهب يمكن أن ينال منهم ، ويلفّهم ويدفعهم إلى الدمار ، انهم موتى وهم يعلمون انهم موتى ، ومع علمهم هذا يظلون باردين إلى الأبد ، وهذا معناه . . ان هؤلاء ليسوا أصدقاءك .

لانـــترى : كنت ارجو أنهم يكونون . .

(نبضة . ويستشير ماكلور الكمبيوتر الصغير الذى يمسكه بيـــــده)

ماكلـــور : اذن فانت ويليم لانترى ؟

لانـــترى : كنت هـــو

ماكلـــور : ولدت سنة ١٩٧٣ وتوفيت سنة ٢٠٠٣ ؟

لانـــترى : انا هـــو

ماكلـــور : لقد كنا نبحث عنك

لانـــترى : فرقـــة السلام ؟

ماكلـــور : كلا ، كلا ، آه ، كلا . جمعية طب الشيخوخة ، والاخصائيون في الحياة المجمدة والاخصائيون الذين يدرسون علم القريّات . *

انك شخص من طراز خاص ! انك مدهـــش !

وكلهم يريدون مقابلتك !

لانـــترى : بعد كل ما فعلته ؟

ماكلـــور : انك لم تفعل شيئا الا ان نمت في حياة مجمدة مائتى سنة .

لانـــترى : (مذهولا) لم افعل شيئا !

ماكلـــور : أجل. لقد عرفنا الحياة المجمدة في الحيوانـــات الصغيرة ، ضفادع البر وضفادع البحر والحشرات ،. أجل ، ولكننا لم نعرفها أو نكاد ، في الانسان البالغ

لانـــترى (مذهولاً) ولكن هل رأيتنى اعلم الجثث .

ماكلـــور : أجـــــل .

لانـــترى : لقد حاولت اقامة المـــوتى .

ماكلـــور : لقد فعلت

لانـــترى : لقد نسيت افران الحريق ، وقتلت الناس :

---

* الدراسات التى تتناول الحرارة الشديدة الانخفاض (المترجم)

ماكلور : يا عزيزي لانتري ، لقد تصرفت تحت تاثير الوهم ؛ فانت لست رجلا ميتا ، وانت لست احد اقربائه دراكولا أوبو . آه انني اعرف الاسماء . فقد احتفظت ببعض الكتب سرا . انت انسان عادي مألوف عاش ونام طوال السنوات ، والآن ، وقد استيقظ وأتته فكرة سخيفة بانه بكيفية ما ، يمثل آخر الموتي !

لانتري : ولكنني قتلت الناس ، والان يجب ان تقتلني !

ماكلور : ماذا ؟ أدمر معجزة طبية فريدة مثلك ؟ أول رجل في التاريخ يعيش تحت الارض اكثر من مائتي عام ؟ ستكون في جميع وسائل الاعلام ! الافلام ! التليفزيون !

لانتري : (يلمس نفسه) كلا ، كلا ! حتى الآن لا اتنفس ! وقلبي لا ينبض ودمي يتحرك كلا ، أنصت ! تحسس !

ماكلور : هراء ناجم عن الوعي الناقص (يمسك بمعصم لانتري) كلها موجودة . وأنت تزعم انها غير موجودة .

لانتري : (يتحسس قلبه ونبضه) ليست موجودة ؟ ليست موجودة ؟ ولكنني . . كنت واثقا الى حد بعيد . . .

ماكلور : استمتع بأنك انسان بُعثت حياً ! تعال ، هلم !

لانتري : (في لهجة جديرة بالشفقه او تكاد) اذن . . فأنا لست رجلا خطيراً على الاطلاق

ماكلور : خطر ؟ انما انت خدمت نفسك بطبيعة الحال ،

لم تعرف الى اين تذهب او الى من تلجأ . وعندما وجدت نفسك في مقبرة في هذا الطريق ، فماذا كان أمامك الا ان ترتبك . لقد تركت وراءك أثراً واضحاً . كنت أعلم انك ستكون هنا الليله في هذه المشرحة . سمه حدسا أو شعورا . .

لانترى : ولكن . . ولكن هذا غريب جدا . . لماذا لم اشعر بالجوع بعد ؟

ماكلور : ان اعصابك ثائرة . وسيأتي الجوع في الوقت المناسب ، تعال . . .

لانترى : أيجب أن أقابل كل علمائكم الليلة ؟

ماكلور : كلا . طبعاً لا . لقد كنت أنا الذى لعب دور الأبله الذى ثارت اعصابه فاصفح عنى . ستأتي إلى منزلى لتستريح وتنام . .

لانترى : لقد نمت مائتى سنة .

ماكلور : عفوا . حسناً ، إذن هو الطعام والشراب والحديث . يجب أن تحدثنى عن الماضى !

لانترى : كلا . يجب أن تحدثنى أنت عن المستقبل .

(يضحك كلاهما . وتنقضى فترة من الارتباك)

(يلتفت لانترى فجأة ، ويتحدث لنفسه)

لانترى : (لنفسه) هذا فخ ! فخ !

ماكلور : (يلمس مرفقيه) ما الخبر ؟

لانترى : (يحنى رأسه ، ويحك مرفقيه ، ثم يقول لنفسه)

فخ . وهو يكذب . لا بد أنه يكذب . أنا الشيء المظلم الذى أنا هو ! ولست ملاك البعث المتألق الذى يقول هو عنه (يلتفت وينظر إلى ماكلـور بلا مبالاة) أعتقـد انى يجب أن اقتلك وأهرب .

ماكلـور : ماذا ؟ ألا تزال تتمرغ في تراب القبر وديدانه ؟

(ويدور ماكلور حوله ببطء وهو يتكلم)

ماكلـور : حسناً . دعنا نناقش الأمر من وجهه نظـرك . هب أنني اكذب وهب أنك ميت وأنا اعرفك ميتاً . وهب أنني جئت إليك منذ خمس دقائق معتقداً بأنك أحد أولئك الضعاف الغدد أو مواطن غير كفء هه ؟ ولكنني بعدئذ بمراقبتك رأيتك تحبس أنفاسك وتخدع نفسك وتوهمها بأنك ميت . وتعمل على ابطاء نبضك وتخدع نفسك بانك لحم فاسد وجثة قديمة . مثـل هذه الأوهام معروفه في التاريخ ، ومن ناحية أخرى دعنا نتخيل . انى وأنا أراقبك ، لم أرك حقاً تأخذ نفساً واحداً والآن في النهاية في هواء الليل الساكن أشعـر ، وأعرف ، أن قلبـك الميت لا ينبض ، لا ينبض !

لانـترى : ثم ماذا ؟ ثم ؟ ثم ؟

ماكلـور : حسناً ، وماذا لو أنك قتلتنى ؟

لانـترى : سيشبع هـذا رغبتى !

ماكلـور : لماذا ؟ ألمجرد أن تقتل أناساً أكفاء ظرفاء غـير معلقين ينتمون للمستقبل . كل جريمتهم أنهم سعداء

في منتصف الليل ، وأنهم لا يخافون ظلال دورات المياه ؟ وتركوا أسطورة جميع القديسين تُهمل إلى الأبـــد وتتعفـــن ؟

لانـــترى : أجل . هذه جريمة !

(يشدد لانترى قبضته على عنق ماكاور ، ولكن ماكلور يرفض أن يتولاه الفزع وينتظر . ويخفف لانترى من قبضته بعض الشيء)

ماكلـــور : دعنا نتقدم خطوة . أنت ترغب فى أن تقتل ، لكى تكسب الاصدقاء

لانـــترى : أجل ، الاصدقاء !

ماكلـــور : (مشيرا إلى الجثث القريبة منهما) ومع ذلك فقـــد رأيت انه لا أصدقاء لك ، هؤلاء الموتى ميتون إلى الأبـــد .

لانـــترى : سأقتل المزيـــد !

ماكلـــور : وسيموتون إلى الأبـــــد .

لانـــترى : أنت ! سأقتلك !

ماكلـــور : وسأكون ميتاً إلى الأبد . لن أقوم لأساعدك . ولن اعاون جماعتك الوحيده الشاذة

لانـــترى : سأقتل كل من على ظهر الأرض !

ماكلـــور : لأية فائدة ولأى سبب ؟ لماذا ، أنك بذلك ستكون فى النهاية وحدك تماماً .

(يغمض لانترى عينيه ويقطب حاجبيه عند سماعه هذه الكلمـــــات) .

ماكلـــور : (مستمراً) تقتل واحداً ، أو تقتل الجميع ، أو تقتل الملايين ، أو تقتلني . ولن تكون أحسن حالا مما أنت عليه فى هذه اللحظة . وأنت تقف هنا تريد أن تخنق الرجل الذي يرد على اعتداثك عليـــه بالمنطق البسيط والحقيقة التى لا مفر منهـــــا . ليس ثمـــة فوز يا لانترى . انك ضائع الآن وقد تكون ضائعاً غداً . هؤلاء الموتى لا تنطوى صدورهم على أركان مظلمة وليست لديهم خرافات وكذلك أنا . انك دون صديق كما أنك غير محبـــــــوب .

لانـــترى : (بضعف) لا استطيع أن أكف .

ماكلـــور : (ببساطة) يجب أن تكف .

(يفتح لانترى يديه ، ولا يتحرك ماكلور ، ويومىء للمرة الأخيرة وتكون هذه الحركة السبب فى تراخى اليـــدين) .

(ويقف لانترى وهو يكاد يصابه بالاغمــــاء) .

ماكلـــور : (بعطف) ألا ترى أن الكراهية هى التى جاءت بك إلى هذا العالم ؟ ولكن الآن وقد عرفت بنفسك . أنك حقاً وحيد . فالوحدة هى الشيء الذى سيقتلك .

لانـــترى : الوحـــــدة . . . !

ماكلـــور : الوحدة هى التى تقتل كل انسان عندما يعرف نفسه معزولاً عن المجتمع ، بل أنها يوما ستقتلنى .

لانـــترى : هل ستفعل هذا ؟

ماكلــور : (بلطف) أنت تعلم أنها ستفعل .

(وكان لانترى يفحص يديه ويلمس جسمه محاولا أن يعيد اقناع نفسه خلال الحديث السابق . وهو الآن يصيح ويرفع معصميه ، وسيستدير صوب ماكلور كأنه يريد أن ينقض عليه ويضربه) .

لانــترى : كلا . كلا . أصمت ! اصمت !

(وعند هذه النقطة ، يدخل رجلان ويتوقفان . فقد دفعهما حب الاستطلاع وانتابهما شيء من الذهــــول) .

الضابط الأول: ما الذى يجرى ؟ أهي لعبة جديدة ؟

ماكلــور : أجل ، لعبة جديدة ! اقبضا عليه فتفوزان !

(وينفجر لانترى غاضباً نحو الرجلين ، يتراجع ماكلور بينما لانترى يندفع فيوقع بنفسه مباشرة بين أذرعها ، ثم يمسكان بذراعيه خلف ظهره وهــو يقــاوم)

الضابط الثاني : لقد فزنا

لانــترى : أيها الأبلهــان ! أيها الأبلهان ! دعاني وشاني .

ماكلــور : أمسكاه بقـــوة !

الضابط الأول: أليست هذه لعبة خشنة ؟ ماذا نفعل الآن ؟

ماكلــور : (نبضة) إلى مـــكان الموقد .

الضابط الأول: إلى مـــكان الشمس ؟

لانـــترى : (وقد تملكه الفزع ، يتحدث إلى نفسه تقريباً) . .
فرن الحـــــريق !

(يبدأون في التحرك . يحاول لانترى أن يتراجع ، لكنه يستسلم ويسير معهم ، بينما ماكلـــور يتحدث)

ماكلـــور : آه ، لقد كان من الصعب جداً قبولك . رجل مثلى رجل منطقى ، من عمـــــرى وزمنى . ولكن ، هل لى أن اقول لك شيئاً ؟

لانـــترى : ماذا ؟ ماذا !

(يتوقفون . وتصدر نبضة . وينظر ماكلور فـــى وجه لانــــترى)

ماكلـــور : انك تكاد . . . تفـــــزعنى

(يفاجأ لانترى بالأمر . . وقد سره هذا أو يكاد)

لانـــترى : أنت . . . . أنا . . . ؟ أنت . . . ؟

ماكلـــور : (يومىء برأسه) لقد تملكنى الفـــــزع .

(ويومىء للمرة الثانية للرجلين ، ويسيرون فـــى دائرة كبيرة فى الظلام ، الآن)

لانـــترى : حسناً . إذن هذا معناه ، يا إلهى . . هذا معناه اننى بو . اننى كل ما تبقـــى من ادجار الآن بو ، وأنا كل ما بقى من أمبروس بيرس(٣٢) ولفكرافت . . . (يظهر ضوء خلفهم : وهج الاتون . فرن الحريق ، مكان الشمس . ويسيرون فى دائرة كبيرة خلال الظلام حول المسرح) .

لانــترى : . . . أنا أوزيريس(٣٣) وبال(٣٤) وست(٣٥) ، أنا النكر نوميكان (٣٦) ، كتاب الموتى (٣٧) أنابيت أوشر ، أنا الموت الأحمر(٣٨) ، أنا نعش ، أنا كفن ، أنا وميض صاعقة ينعكس على نافذة بيت قديم ، أنا شجرة خريف خالية ، أنا ورقة كتاب تحولت إلى اللون الأصفر قلبتّها يد كالمخلب . . أنا ارغن يعزفون عليه في غرفة عليا فى منتصف الليل. أنا قناع ، قنــاع جمجمة خلف شجرة سنديان فى اليوم الأخير من شهر اكتوبر ، أنا . . (لقد توقفوا الآن . ونرى خلفهم الوهج البرتقالى الأصفر ، والفم المفتوح لفرن الحريق ، مكان الشمس . يرقد الرجلان على جانب لبرهة ، تاركين لانترى مستغرقا في أفكاره ، ويسنده ماكلور لبرهة . ويأتي ماكلور بحركات صامتة إلى الرجلين ليذهبا ويأتيا بشيء).

لانــترى : . . . . أنا تفاحة مسمومة تطفو وتغطس فى حوض من الماء لتنهشها أسنان الأطفال

. . . . أنا شمعة سوداء تضاء أمام صليب مقلوب ، أنا جمجمة من سكر عليها اسمى لكى تُؤكل . . . (يعود الرجلان ومعهما كمية كبيرة من قطع أربطة الكتان ، بينما يراقبهما لانترى مذهولا ، يأخذان هما فى لفها حول رسغى قدميه ، صاعدين إلى أعلى على طول ساقيه ، ويستمر لانترى فى الكلام ، وكأنه يترنم ، وينوّم نفسه تنويماً مغناطيسياً بمـــا يتلـــو) . .

لانـــترى : . . . . انا غطاء نعش ، أنا ملاءة بعينين ، أنا اسطورة التجويف الناعس ، أنا مخلب القرد(٣٩) . . أنا عربة الركشو الشبح(٤٠) . . . أنا الحفرة ، أنـــا البنـــدول(٤١) . .

ماكلـــور : (برفق ، حاثا على أن يستمر) . . أجل . . .

لانـــترى : أنا القط وعصفور الكناريا ، أنا الغوريلا ، أنـــا الخفاش ، أنا والد هملت المتوفى والشبح المدفون . . (ويتقدم الرجلان اكثر وأكثر وهما يلفانه حتى يصبح مومياء ، وقد وصلا الآن إلى مفصلى الوركين ، وهما يلفان أربطة الكتان حول جسمه ويتناقلانها من يد إلى يد بكفاءة من تعوّد لف الأكفـــــان) . .

لانـــترى : أنا كل هذه الأشياء . . بينما كنت أعيش كانواهم يعيشون . . بينما كنت اتحرك واكره وأوجد ، كانوا هم لا يزالون موجودين ، أنا كل مـــن كان يذكرهم ، ولن أذكرهم بعد الليلة ، فالليلة سنحترق جميعاً ، وبو والموت الأحمـــر ورودريك أوشر(٤٢) ، كخيالات المقاتة المصنوعة من القش فى جاى فوكس ، ستجمعون كل أسباب فزعنا ورعبنا ، وتلمسونها بعود من الثقاب فتحترق ! (يتحرك الرجلان الآن بمثابرة وفى هدوء . . . وقد لفا ذراعيه باللفائف فى احكام ، برباطا ت المومياء المصنوعة من الكتان الأبيض . وهما حتى لا يسمعانه يهذى ويترنم ، وماكلور وحده هو الذى ينصت ، يومىء يؤكد كل هذا فى هدوء)

ماكلور : نعم . . نعم . .

لانترى : ويا للعويل الذى سيصدر منا . سيظهر العالم منا . ولكن عند ذهابنا سنقول كيف يبدو العالم وقد تطهّر من الخوف ؟ أين الوهم المظلم من الزمن المظلم ، الاثارة ، والتوقع ، والتوتر فى أكتوبر العصور القديمة ، لقد انقضى كل هذا ، ولن يكون له وجود بعد الآن ، لقد حطمه وأحرقه رجال الصواريخ ، ورجال أفران الحريق ، لقد دمرّه وأزاله هؤلاء الرجال واستبدلوا به الأبواب التى تفتح وتُغلق دون صياح الصاروخ . وأنوار تضىء وتطفا . دون خوف . آه . وحق آلهة الظلمة ، لو عرفتم كيف كنا نعيش يوما ، وماذا كان عيد جميع القديسين لنا ، وكيف كنا نفخر في الوبلات المظلمة . هذا الزمن هنا . وهؤلاء الاشباح هنا في رأسى وفي افكارى وفي احلامى ! انى اشرب نخبهم ! الامنتيلادو !

ماكلور : اجل . الامنتيلادو . .

(انتهى الرجلان الان من لف جسم لانترى ، ويشرعان في لف رأسه ووجهه وذقنه ، ورباط من الكتان على أنفه وأخرى على حاجبيه تاركين عينيه تريان في نظرات جنونية ، وفمه يتحرك حركات مسعورة) .

لانترى : بعضهم بالباب ، اسرعا . . آه . . بسرعة ! مخلب القط ، اطلبوا الامنية ، الامنية !

ماكاسور : (برفق) الامنية ، اجل ، الامنيــة

(وتتأجج النار من خلفهم ، ويُسمع صوت قلب هائل ينبض) .

لانــترى : انا الزوبعة الهوجاء (٤٣) ، انا القط الاسود(٤٤) ، انا القلب الواشي (٤٥) ، انا الغراب الاسود (٤٦) الذي لم يعد له وجود ، لم يعد له وجود .

(ويفرغ الرجلان من عملهما.وقد وضعا رباطا فوق عينيه ، ولكن يمكن مشاهدة فمه وهو ينهي حديثه

لانــترى : أنا دراكولا . أنا شبح الأوبرا .

ماكلــور : نعـــــم

(يومىء ماكلور الى الرجلين . فيحملان لانترى الى الخلف صوب النار ، ويشعر لانترى بهذا . فيديــر رأسه يساراً ويميناً دون أن يرى) .

لانــترى : هل أنا في . . . . سرداب المــوت (٤٧) .

ماكلــور : سرداب المــوت

(يومىء ماكلور الى الضابطين ، فيمسك الرجلان بلانترى ويشرعان في رفعــه)

لانــترى : انني أُقيّد الى جدار . ولكن لاتوجد زجاجه خمــر امنتيلادو !

ماكلــور : لا توجـــــد

لانــترى : الآن بعضهم يثبت بالملاط حائطا بالزنزانة ،ويحبسني بالداخل ! (٤٨)

ماكلــور : انهما يفعلان هذا

لانــترى : لقد وقعت في فـــخ . انها لنكته ظريفه حقـــــا .
فلنرحل (٤٩) !

ماكلــور : اجـــل ، فلنرحل

ويومىء ماكلور للمـــرة الاخـــيرة للرجلين اللذين يمسكان (بالمومياء) معاينة فوق المنحدر . والنــــار متألقة . وينبض القلب الواشى أعلى وأعلى).

لانــترى : بحق الله يا مونتريزور (٥٠) !

(ويميلانه بسرعة فوق المنحدر ، فيتسقط وينقضى وتتأجج النـــيران . ويتوقف القلب الواشى عـــن النبـــض)

(ويشيح ماكلور بوجهه . وعيناه مغمضتان غير مستطيع ان يرى ، وينتظر حتى يخبو لون النار خلفه نبضتين أو ثلاث نبضات . ثم يتكلم)

ماكلــور : (بحنان) آه ، أجل . بحق الله .

(وتخفت الأنوار بسرعة . اظلام . ستار)

* * *